الطير من منظور القران الكريم

دراسة موضوعية

م.م.علي محمد صالم السامرائي

كلية الإمام الأعظم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

مما لا شك فيه أننا نعيش في الكون وفق نظام متكاملٍ، ونطمح أن نصل بما أعطانا الله تعالى من القدرة إلى أدق الحقائق التي أودعها الله تعالى في الكون وهي غائبة عنا، وإذا ما نظرنا ابتداءً إلى أصناف المخلوقات ثم تأملنا في كيفية خلقها، وفي نظام حياتها، وما تشتمل عليه من خصائص أودعها الله فيها، أدركنا في أنفسنا دقة ذلك الصنع وعظمة الصانع لتلك المخلوقات.

إن كل شيء في هذا الكون مليءٌ بالبراهين، والشواهد الدالة على وحدانية الله تعالى، وتفرده بالخلق وعند التفكر بتلك البراهين والشواهد يستشعر المؤمن بلذة الإيمان الصادق واليقين الحقيقي؛ فجسدنا الذي لا نستطيع أن نفعل ابسط شيء إلا بواسطة عضوٍ من أعضائه، لا نعرف إلا القليل من خصائصه ونظام عمل تلك الأعضاء التي يشتمل عليها الجسد، وكذلك الأصناف الأخرى من المخلوقات

هذا ما دعاني إلى الخوض في مثل هذه الموضوعات لذلك اخترت عنواناً خاصاً في صنف من أصناف الحيوانات فأسميته (الطير من منظور القران الكريم . دراسة موضوعية) وأردت أن أقف على تفسير الآيات الخاصة في الحديث عن الموضوع ومن ثم لأضع بين يدي القارئ الكريم نظرة القران الكريم لهذا الصنف من الحيوانات، وما تحمل من كشف للحقائق الغائبة عن الأعين، قد اعتنى القران بها مذ آلاف السنين وحث البشرية للتفكر والتمعن بها

وهذا الصنف من الحيوانات قد حضي بدراسات عديدة متنوعة بطبيعة تنوع هذا الصنف من المخلوقات، فهناك من العلماء والباحثون المتخصصون في البحث عن القضايا العلمية البحتة التي قد أودعها الله في هذا المخلوق فكشفوا مثلاً عن طبيعة أعضاء هذا الحيوان.

ومنهم من اعتنى بقضايا الإعجاز العلمي، ومنهم من بين المسائل الفقهية التي ترتبط بالطير وبينوا أقوال الفقهاء فيها.

ودراسة البحث الجاري في هذا الموضوع هي دراسة موضوعية لدلالة الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الطير وطرح موضوعاتها طرحاً منهجياً مفصلاً لأجزاء الموضوع الذي دلت عليه الآية الكريمة ولم استقصي جميع الموضوعات التي اعتنى بها القران الكريم تجاه هذا الصنف من الحيوانات؛ لسعة تلك الموضوعات بما تحمل من دلائل واسعة ذات أبعاد عميقة فاقتصرت على الآيات التي ورد فيها لفظ الطير

واقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وتمهيد وخاتمة وثلاثة مباحث: مهدت بتعريف الطير في اللغة والاصطلاح ثم بينت في المبحث الأول: علاقة الطير بالخالق سبحانه وتعالى فجاءت في أكثر من جانب وكانت علاقة توحي بقرب الخالق سبحانه وتعالى من المخلوقات فيسخرها كيف يشاء ومتى شاء، وفي المبحث الثاني: تناول البحث علاقة الطير بالأنبياء فكان مصاحباً في أكثر من مشهد للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي المبحث الثالث: تناولت الحديث عن علاقة الطير بالإنسان وذكرت الجوانب التي يرتبط بها الطير بالإنسان ثم ختمت البحث بخاتمة اشتملت على النتائج التي ظهرت بعد البحث .

تمهيد

الطير في اللغة والاصطلاح

الطَّيْرُ معروفٌ، وهو اسم جامع مُؤَنثٌ، والواحد طائر، وقلما يقولون : طائرةٌ للأنثى، وقال أحمد بن يحيى(١): الناس كلهم يقولون للواحد : طَائِر، وأبو عبيدة(٢) معهم، ثم انفرد فأجاز أن يقال : طَيْر للواحد ، وجَمَعَه على طُيور(٣) وجمع الطائر طَير كصاحب وصَحب وجمع الطير طيور و أطيار مثل فرخ وفروخ وأفراخ(٤)

والطيران حركة ذي الجناح في الهواء بجناحه، طار الطائر يطير طيرا و طيرانا و طيرورة، و أطاره و طيره و طار به، يعدى بالهمزة وبالتضعيف وبحرف الجر فعل هذا أن الطائر هو كل ذي جناح يسبح في الهواء (٥)

وقد ورد لفظ الطير ببعض الاشتقاقات في القران الكريم على غير معناه الحقيقي من ذلك أنه ورد بمعنى:التفاؤل والتشاؤم قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦) أي: تشاءمنا فقيل للشُّؤم: طائر وطَيْر وطِيَرة ؛ لأن العرب كان من شأنها عِيَافَةُ(٧) الطَّير، وزجرُها، والتَّطَيُّر ببارحها(٨) وبِنَعِيق غِرْبانها ، وأخذها ذاتَ اليسار إذا أثاروها فَسَمَّوْا الشوْمَ طَيْراً وطائِراً وطِيَرَةً لِتشاؤُمِهم بها وبأفعالها(٩)

وقد نهى الشارع عن تلك الصفة عن أبي هريرة(رضي الله عنه) يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد)(١٠) ويأتي بمعنى العمل، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ (١١) وقيل: عملُه، وخيرُه وشرُه، وقيل: شَقاؤُه وسعادَتُه(١٢)، والبحث تناول الآيات التي ورد فيها لفظ الطير بمعناه الحقيقي وهو المشهور به والطير في معناه الاصطلاحي قد لا يخرج عن معناه اللغوي وهو المشهور به (١٣)

المبحث الأول

الطير وصلته بالخالق سبحانه وتعالى

ورد موضوع الطير في القران الكريم، في آيات كثيرة مرتبة وفق موضوعات متعددة ومتنوعة تنوعاً شمولياً؛ فهي متراكبة الأجزاء يشد بعضها الآخر، وهذا هو شأن القران الكريم عند طرحه للموضوع فهو في الغالب يشمل جميع الأجزاء المتعلقة في الموضوع المراد طرحه إلا الموضوعات المجملة وقد فسرتها المصادر التشريعية الأخرى، والآيات المتعلقة بموضوع الطير اشتملت على ثلاثة محاور المحور الأول جاء ليوضح مدى علاقة الطير بالخالق سبحانه وتعالى وتفصيل أوجه تلك العلاقة وهذا ما سنتناول الحديث عنه في هذا المبحث وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تسبيح الطير

يقرر القران الكريم بآياته المعجزة أن ما خلق الله تعالى في هذا الكون من شيءٍ إلا وهو يسبح بحمد الله تعالى بالطريقة التي مكنه الله تعالى منها فالحيوانات بأشكالها والجمادات بأنواعها كلها تردد التسبيح لبارئها وتنزهه عما لايليق به قال تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ (١٤)

وما نحن بصدد الحديث عنه من بين هذه الأصناف المسبحة لله تعالى المقدسة له الطير وقد وردت آيات تتحدث عن تسبيح الطير لله تعالى صراحة فقال تعالى ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴾ (١٥) .

(والقرآن يوجه الإنسان إلى النظر فيما حوله من صنع الله ... ويوجه بصره وقلبه خاصة إلى مشهد في كل يوم يراه، فلا يثير انتباهه ولا يحرك قلبه لطول ما يراه؛ ذلك مشهد الطير صافات أرجلها وهي طائرة في الفضاء تسبح بحمد الله، والإنسان وحده هو الذي يغفل عن تسبيح ربه وهو أجدر خلق الله بالإيمان والتسبيح والصلاة)(١٦).

وقد خص سبحانه وتعالى الطير بالتسبيح من بين ما في السموات والأرض وبيّن المفسرون أوجه هذا التخصيص ومن أهمها:

الأول: (لعدم استمرار استقرارها في الأرض وكثرة لبثها في الهواء وهو ليس من السماء ولا من الأرض .

الثاني: لما فيها من الصنعة البديعة التي تقدر بها تارة على الطيران وتارة على المشي بخلاف غيرها من الحيوانات.

الثالث: ذكر حالة من حالات الطير وهي كون صدور التسبيح منها حال كونها صافات لأجنحتها لأن هذه الحالة هي أغرب أحوالها فإن استقرارها في الهواء مسبحة من دون تحريك لأجنحتها ولا استقرار على الأرض من أعظم صنع الله الذي أتقن كل شيء) (١٧) .

وكذلك في خصها بالذكر إعجازا بديعاًوذلك لكونها تتمكن من الطيران وتسير في الفضاء من غير أن يكون سيرها على أجرام جامدة تتحمل ما يسير عليها، بل هي تسير من غير جرم جامد ثقيل تسير عليه، ولذلك خصها بالذكر لفضل ما تدل عليه من إبداع في الخلق والتكوين، حتى كانت موضع درس للإنسان)(١٨) .

وبين تعالى أن ذلك التسبيح من قبل الطير يصدر عنه وهو في حالة طيرانه وفي هذا دلائل باهرة على قدرة الصانع ودقة الصنع وتنزيهه عن جميع ما لا يليق به فقال تعالى (صافات) قال ابن كثير(رحمه الله) :(أي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح ألهمها وأرشدها إليه وهو يعلم ماهي فاعلة ولهذا قال (كل قد علم صلاته وتسبيحه) أي كل قد أرشده إلى طريقته ومسلكه في عباد الله عز وجل)(١٩).

فالطير ارشده الله تعالى والهمه طريقة واضحة يمكن له من خلالها التسبيح له تعالى ولا يمكن أن يتصور إنكار ذلك والادعاء بأن الطير ليس من صنف العقلاء لكي يعبر عن تسبيح الله تعالى بصوته فهذا مردود عليه وذلك (لأن إلهامه تعالى لكل نوع من أنواع المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يهتدي إليه جهابذة العقلاء مما لا سبيل إلى إنكاره أصلا كيف لا وأن القنفذ مع كونه أبعد الأشياء من الإدراك قالوا إنه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبها فيغير المدخل إلى حجره)(٢٠).

قال الزمخشري (رحمه الله) (ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها)(٢١).

وفي غير هذا المشهد تقرر آيات أخرى عند الحديث عن داود عليه السلام أن مما خص الله سبحانه وتعالى به نبيه داود وفضله بأن جعل الطير تردد معه مسبحة لله تعالى فقال تعالى:﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ ﴾(٢٢)

وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ (٢٣) وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةًۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (٢٤)

ففي هذه الآيات المعجزة يؤكد سبحانه وتعالى على أن الطير من عباد الله تعالى المسبحة له وأنه كان أواباً مع داود عليه السلام يقول سيد قطب (رحمه الله)

(ومن النص القرآني نتصور داود وهو يرتل مزاميره، فيسهو عن نفسه المنفصلة المتميزة المتحيزة. وتهيم روحه في ظلال الله في هذا الكون ومجاليه ومخلوقاته الجوامد منها والأحياء؛ فيحس ترجيعها، ويتجاوب معها كما تتجاوب معه، وإذا الكون كله فرقة مرتلة عازفة مسبحة بجلال الله وحمده ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٢٥) إنما يفقهه من يتجرد من الحواجز والفواصل، وينطلق مع أرواح الكائنات، المتجهة كلها إلى الله.)(٢٦).

والتأويب الترجيع، أي يا جبال سبحي معه، ورجعي التسبيح(٢٧)، وقيل: التأويب بمعنى التسبيح لغة حبشية فهو من المعرب في اللغة العربية (٢٨)

وفي هذا التسخير للجبال والطير بأن تردد مع داود عليه السلام عناية واهتماما من قبل الباري عز وجل بعبده داود فوق كونها معجزة له عليه السلام إذ آنسه بتلك الأصوات في وحدته في الجبال وبعده عن أهله وبلده (٢٩).

وصدورالتسبيح من الطير إما حقيقة وإما مجازاً وفي المعنى الحقيقي ذكر المفسرون عدة وجوه:

الأول: (قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقال وهب كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير.

الثاني: قال قتادة يسبحن أي يصلين معه إذا صلى وبمعناه قال مقاتل(٣٠) إذا ذكر داود عليه السلام ربه ذكرت الجبال والطير ربها معه

الثالث: قال سليمان بن حيان (٣١): كان داود عليه السلام إذا وجد فترة أمر الله تعالى الجبال فسبحت فيزداد نشاطاً واشتياقاً (٣٢).

وقال البعض أن التسبيح ليس حقيقة وإنما يحمل على المجاز وأولوه على تسبيح من رآها تعجبا من عظيم خلقها وقدرة خالقها (٣٣).

وقد رجح المفسرون القول الأول وهو: أن التسبيح صدر من الطير حقيقة وذلك حاصل بالطريقة التي ألهمها الله تعالى إياها وهو يردد مع داود عليه السلام لجمال صوته وعذوبته وان لم نفهم ذلك التسبيح لأن فهمه امرأ بيد الله تعالى يهبه لمن يشاء وقد خص به داود عليه السلام كما الهم نبيه صلى الله عليه وسلم تسبيح الحصى بيده معجزة له وآية دالة على صدق ما جاء به عليه الصلاة والسلام (٣٤)

وقد جاءت الروايات تؤكد على أن الطير كان إذا سمع صوت داود عليه السلام يسبح قام يردد معه لرقة صوته وعذوبة لحنه

قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ وَهَبَهُ مِنَ الصَّوْتِ الْعَظِيم مَا لم يُعْطه أحد بِحَيْثُ إِنَّهُ كَانَ إِذَا تَرَنَّمَ بِقِرَاءَةِ كِتَابِهِ يَقِفُ الطَّيْرُ فِي الْهَوَاءِ يُرَجِّعُ بِتَرْجِيعِهِ وَيُسَبَّحُ بتسبيحه

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ(رحمه الله): حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ قَالَ: أُعْطِيَ دَاوُدُ مِنْ حُسْنِ الصَّوْتِ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ قَطُّ، حَتَّى إِنْ كَانَ الطَّيْرُ والوحش ينعكف حَوْلَهُ حَتَّى يَمُوتَ عَطَشًا وَجُوعًا وَحَتَّى إِنَّ الْأَنْهَارَ لَتَقِفُ! وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: كَانَ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا حَجَلَ كَهَيْئَةِ الرَّقْصِ، وَكَانَ يقْرَأ الزبور بِصَوْتٍ لَمْ تَسْمَعِ الْآذَانُ بِمِثْلِهِ فَيَعْكُفُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ وَالطَّيْرُ وَالدَّوَابُّ عَلَى صَوْتِهِ حَتَّى يَهْلَكَ بَعْضُهَا جُوعًا(٣٥)

ومما يزيدنا تأكيداً ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن عندما سمع ابو موسى الأشعري يقرأ القران: (قال له يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود)(٣٦).

المطلب الثاني: الطير من جنود الله تعالى

الطير من المخلوقات التي خلقها الله سبحانه وتعالى، وسخرها في هذا الفضاء وهو آية دالة على عظمة الله تعالى وقدرته فقد شاء الله تعالى أن يكون الطير أداة ذات جهد بليغ قل من يحمله في خصائص خصه تعالى بها ومن بين الأمور التي تشرف بها الطير في خدمة الخالق تعالى أن يكون جندياً من جنوده التي تدافع عن الحق وتبذل كل الجهد من اجل ظهوره وذلك ليس عجباً أن يجريه تعالى على يد هذا الطير الذي هو في نظرنا من المخلوقات البسيطة

وفي هذا الجانب سيتناول البحث درسين من الدروس النافعة إن شاء الله تعالى يكون الطير فيها جنداً من جنود الله تعالى دالاً على أن الله تعالى لا يعزب عنه شيء في أن يجري معجزاته على أي مخلوق من مخلوقاته ويكون ذلك درسا في التحدي تعجز عنه البشرية بأجمعها قال الله تعالى ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ① أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ② وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ③ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ④ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ⑤﴾ (٣٧)

قصة أصحاب الفيل مشهورة لا يستدعي الحديث إلى سردها فقد كتب الله تعالى لبيته العتيق القداسة والحرمة وأن يكون مصونا من جميع الأعراض التي تحاول العبث به في أمرٍ من الأمور فإذا ما حاول عابثاً أن يمد يده إلى بيت الله الحرام نجد إرادة الله تعالى تتدخل مباشرة لحفظ بيته وهتك من أراد هتكه لذلك عندما حاول أبرهة الحبشي أن يخرب مكة سخر الله له تعالى قوة فتكت به وبجيشه أرسل الله تعالى له جنداً من جنده؛ الطير ذلك المخلوق العجيب فرماه بالحجارة وكان ذلك درساً بالغاً لجميع الأمم في حرمة بيت الله الحرام

فالسورة تشير إلى (حادث مستفيض الشهرة في حياة الجزيرة العربية قبل البعثة، عظيم الدلالة على رعاية الله لهذه البقعة المقدسة التي اختارها الله لتكون ملتقى النور الأخير، ومحضن العقيدة الجديدة، والنقطة التي تبدأ منها زحفها المقدس لمطاردة الجاهلية في أرجاء الأرض، وإقرار الهدى والحق والخير فيها كما فيها الايذان بتوطئته لبعثة رسوله صلى الله عليه وسلم بدينه في ذلك البلد ، إجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام ، فكما كان إرسال الطير عليهم من أسباب تضليل كيدهم ، كان فيه جزاء لهم ، ليعلموا أن الله مانع بيته)(٣٨) .

فخاطب الباري عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم مذكراً له بوقوع تلك القصة وكيف رد الله تعالى جيش الحبشة بأن سخر الطير ليحمل الحجارة ويرميهم به ومضمون الخطاب هو (أما رأيت من قدرة الله وعظيم شأنه، ورحمته بعباده، وأدلة توحيده، وصدق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ما فعله الله بأصحاب الفيل، الذين كادوا بيته الحرام وأرادوا إخرابه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه، وجاؤوا بجمع لا قبل للعرب به، من الحبشة واليمن، فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفاً على أنفسهم منهم، أرسل الله عليهم طيراً أبابيل أي: متفرقة، تحمل حجارة محماة من سجيل، فرمتهم بها، وتتبعت قاصيهم ودانيهم، فخمدوا وهمدوا، وصاروا كعصف مأكول، وكفى الله شرهم، ورد كيدهم في نحورهم)(٣٩).

وقد ذكر المفسرون رحمهم الله اكثر من صفة لتلك الطير من أهمها:

ما ورد عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: خضر لها خراطيم كخراطيم الإبل وأنف كأنف الكلاب ، وفي رواية عنه : لها أكف كأكف الرجل وأنياب كأنياب السباع)(٤٠).

وعن عبيد بن عمير الليثي قال: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث الله عليهم طيرا نشأت من البحر كأنها الخطاطيف بكف كل طير منها ثلاثة أحجر مجزعة في منقاره حجر وحجران في رجليه ثم جاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها فما من حجر وقع منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر إن وقع على رأسه خرج من دبره وإن وقع على شيء من بدنه خرج من الجانب الآخر وبعث الله ريحا شديدا فضربت أرجلها فزادها شدة فأهلكوا جميعا (٤١)

قال الالوسي (رحمه الله)(والمعول عليه أن الطير فى الحجم كالخطاطيف وأن الحجارة منها ماهو كالحمصة ودوينها وفويقها وروى ابن مردويه وأبو نعيم عن أبى صالح انه مكتوب على الحجر اسم من رمى به واسم أبيه رأى ذلك عند أم هانىء)(٤٢) .

وقال ابن عاشور (رحمه الله) (والصحيح ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها : أنها أشبه شيء بالخطاطيف، وعن غيرها أنها تشبه الوطواط) (٤٣).

وبين سبحانه وتعالى الصفة التي كانت عليها تلك الطير وهي ترمي الحجارة وذلك زيادة في التذكير لعظمة هذا المخلوق وإيذاناً بقوة الأمر الذي سخره تعالى للقيام به فقال تعالى "طيراً أبابيل" أي جماعات قال ابن عباس(رضي الله عنهما) طيرا أبابيل قال: فوجاً بعد فوج كانت تخرج عليهم من البحر (٤٤) .

وتنكير الطير في الآية الكريمة إما للتحقير فإنه مهما كان أحقر كان صنع الله أعجب وأكبر، أو للتفخيم كأنه يقول: طيراً وأي طير ترمى بحجارة صغيرة فلا تخطىء المقتل أو للنوعية لأنه من النوع الذي لم يكن معروفا عند العرب(٤٥).

وفي مشهد ثان بصورة ذات دلالات عميقة يصور سبحانه وتعالى حال المشرك بالله تعالى بعد إشراكه بصورة حسية كأنها تشاهد لحظة حصولها وذلك زيادة في التقريع والتنكيل لمن كانت مصيره الهواية فقال تعالى:﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾(٤٦)

فجعل سبحانه وتعالى الطير مسخراً لأن يخطف المشرك في هذا التشبيه البديع ولفظ (خر) يشير إلى السقوط من مكان مرتفع فبين سبحانه أن سقوطه من السماء قال الشعراوي (رحمه الله) بحيث لا تستطيع قوة أنْ تحميه، أو تمنعه لا بذاته ولا بغيره، وقبل أنْ يصل إلى الأرض تتخطفه الطير، فإنْ لم تتخطفه تهوي به الريح في مكان بعيد وتتلاعب به، فهو هالك هالك لا محالةَ)(٤٧).

فهذه الصورة تبين لنا أن الشرك إذا حصل لدى العبد وتحقق ذلك منه فبعد ذلك لا ينفع شيء معه فكأنه سبحانه جعل الطير أداة لسلب جميع عمله الصالح بحيث لا يبقى لديه مثقال ذرة ممكن أن تنفعه في الآخرة، كما قرر سبحانه وتعالى ذلك في آية أخرى قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (٤٨)

وقد بين المفسرون (رحمهم الله) أن التشبيه إما أن يكون مفرقاً أو مركباً(فإن كان مركباً فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بصورة حال من خرّ من السماء فاختطفته الطير، فتفرق مزعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة .

وإن كان تشبيهاً مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة ، والشيطان الذي يطوّح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة)(٤٩)

والمقصود تقبيح حال الشرك والمشركين، وبيان أن الوقوع في الشرك يؤدى إلى الهلاك الذي لا نجاة معه بحال، لأن من يسقط من السماء فتتمزق أوصاله، وتتخطفه الطير أو تلقى به الريح في مكان بعيد لا يطمع له في نجاة، بل هو هالك لا محالة، فالجملة الكريمة مقررة لوجوب اجتناب الشرك بأبلغ صورة)(٥٠)

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في تقبيح حال المشرك (ان الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحهِ إلى السماءِ فلا تُفتح له أبواب السماءِ بل تُطرح روحه طرحاً من هناك ثم قرأ هذه الآية)(٥١) وهي قوله تعالى: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾(٥٢)

وبعد هذا التصوير البديع ووصف حال من أشرك بالله تعالى بمن خطفته الطير أو هوت به الريح في مكان سحيق حري بالعبد أن ينظر إلى حقارة النفس إذا تجردت عن خالقها وظنت أنها ذات قوة ممكنة لنجاتها فالتشبيه درس في غاية الدقة للاتعاظ وعلى العاقل أنْ يتأمل مغزى هذا التصوير القرآني فيحذر هذا المصير، فهذه حال مَنْ أشرك بالله (٥٣).

المبحث الثاني

الطير وصلته بالأنبياء

بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى البشرية، وأيدهم بالمعجزات والبراهين الدالة على صدق ما جاؤوا به وجعل تلك المعجزات مما تعارف عليه البشر وألفوه، فمعجزة كل نبي من الأنبياء هي مما اشتهر بها القوم المبعوث إليهم قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾(٥٤) فلم تتقيد تلك المعجزات بقيود محددة، أو شروط ضيقه أو تكون في صنف أو أصناف من المخلوقات دون غيرها بل قد تأتي متنوعة بتنوع ما ألفه القوم وبما تعارفوا عليه وتلك حكمة الله تعالى وهذا المبحث سيوضح علاقة الطير بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الطير مع عيسى عليه السلام

أيد الله تعالى نبيه عيسى_ عليه السلام_ بمعجزة خلق الطير؛ فقال تعالى ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(٥٥) وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِي ﴾(٥٦)

(والخلق: حقيقته تقدير شيء بقدْر... ويُستعمل مجازاً مشهوراً أو مشتركاً في الإنشاء، والإبداع على غير مثال ولا احتذاءٍ ، وفي الإنشاء على مثال يُبْدَع ويقدّر، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾(٥٧) فهو إبداع الشيء وإبرازه للوجود والخلق في الآية الكريمة مستعمل في حقيقته أيْ : أقدّر لكم من الطين كهيئة الطير ، وليس المراد به خلق الحيوان، بدليل قوله فأنفُخ فيه)(٥٨)

ومعنى الهيئة أي: (الحالة التي يكون عليها الشيء محسوسة كانت أو معقولة لكن في المحسوس أكثر، قال تعالى :أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير، أو هي كيفية وضع أعضاء الصورة بعضها من بعض التي يدركها ظاهر الحسن) (٥٩).

فبعد أن بين عليه الصلاة والسلام انه رسولٌ مرسل الى بني إسرائيل، بين أول الدلائل، ولعلها أدقها وأشدها قوةً وأكثرها انبهاراً وذلك الأمر يوحيه تقديمها على بقية البراهين التي جاء بها عليه الصلاة والسلام فقال:﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾

وقد بين المفسرون أكثر من قول في الداعي لظهور هذه المعجزة على يد عيسى عليه السلام فذهب أكثرهم إلى أن قومه طلبوا منه ذلك الأمر تعنتاً وتجبراً عليه كعادتهم مع انبيائهم

وذكر ابن جرير الطبري (أن عيسى صلوات الله عليه جلس يوما مع غلمان من الكتاب فأخذ طينا ثم قال أجعل لكم من هذا الطين طائرا قالوا وتستطيع ذلك قال نعم بإذن ربي ثم هيأه حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه ثم قال كن طائرا بإذن الله فخرج يطير بين كفيه فخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه لمعلمهم فأفشوه في الناس وترعرع فهمت به بنو إسرائيل فلما خافت أمه عليه حملته على حمير لها ثم خرجت به هاربة)(٦٠).

والطير الذي خلقه الله تعالى على يد عيسى عليه السلام هو الخفاش فقال ابن عباس (رضي الله عنهما)(إنما خلق عيسى طيرا واحدا وهو الخفاش وقيل : خلق أنواعا من الطير والمشهور أنه لم يخلق غير الخفاش)(٦١) .

وتخصيص هذا النوع من الطيور هو مطالبة منهم؛ وذلك لما يشتمل عليه هذا الطير من أمور عجيبة، فظنوا عجزه عن إظهار هذه المعجزة في ذلك، قال الالوسي (رحمه الله): (وإنما طلبوا هذا النوع دون غيره لانه أكمل الطير خلقا وأبلغ دلالة على القدرة لأن له نابا واسنانا ويحيض ويلد ويطير بغير ريش وله آذان وثدي وضرع ويخرج منه اللبن ويرى ضاحكا كما يضحك الإنسان ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وإنما يرى في ساعتين بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جدا قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز عن خلق الله تعالى بلا واسطة)(٦٢)

وقد بين سبحانه وتعالى أن خلق الطير وجعله معجزة دالة على صدق ما جاء به عيسى عليه السلام هو امرٌ كائن بتقدير الله تعالى فقال: ﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ فذكر المفسرون رحمهم الله (أن تسوية الطين والنفخ من عيسى عليه السلام والخلق من الله تعالى كما أن النفخ في مريم من جبريل عليه السلام والخلق من الله تعالى قال الإمام الرازي (رحمه الله) معناه بتكوين الله تعالى وتخليقه لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (٦٣) أي إلا بأن يوجد الله الموت، وإنما ذكر عيسى عليه السلام هذا القيد إزالة للشبهة ، وتنبيهاً على إني أعمل هذا التصوير، فأما خلق الحياة فهو من الله تعالى على سبيل إظهار المعجزات على يد الرسل)(٦٤) .

في خلقه مناسبة بالتذكير بخلق ادم عليه السلام من تراب وإشارة إلى ان هذا اعجب من خلق ادمي من أنثى فقط فلا تهلكوا في ذلك)(٦٥) .

وقد أكد سبحانه وتعالى في غير هذه الآية الكريمة بأكثر من تأكيد على أن حقيقة الخلق هي صادرة من قبل الباري عز وجل وأن عيسى عليه السلام ليس إلا مؤيد بهذه المعجزة قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٦٦)

فقوله تعالى: علمتك وقوله: أيدتك، وقوله بإذني، تأكيدات على أن الخلق من عند الله تعالى وفي هذا رد على من ادعى الإلوهية لعيسى عليه السلام تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

المطلب الثاني: الطير مع إبراهيم عليه السلام

بين سبحانه وتعالى أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يعيش درساً عملياً وتجربة حقيقية وشعوراً مدركاً بالحواس لعملية الإحياء للموتى فقال تعالى على لسانه

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٧)

طلب إبراهيم عليه السلام من ربه أن يجري على يده هذه العملية التي يستحيل على مخلوق التمكن منها فقال (ارني) من الرؤية البصرية المتعدية إلى واحد، أي اجعلني مبصرا (كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ) بان تحييها وأنا أنظر إليها، أي في أي حال أو على أي حال تحيى، قال القرطبي (الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حال شئ متقرر الوجود عند السائل والمسئول فالاستفهام ههنا عن هيئة الإحياء المتقرر عند السائل أي بصرني كيفية إحيائك للموتى وإنما سأله عليه السلام ليتأيد إيقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئنانا على اطمئنان)(٦٨) .

وقد بين المفسرون عدة وجوه في بيان السبب الذي من اجله طلب ابراهيم عليه السلام من ربه اجراء عملية الإحياء للطير على يديه وغاية الامر والله اعلم أن ابراهيم عليه السلام بعثه الله الى قومه ومن طبيعة الانبياء ان يؤيدوا بالبراهين الدالة على صدق ما جاؤوا به فعملية الاحياء هي برهان قاطع ومعجزة واضحة على مبعث ابراهيم عليه السلام قال الإمام الرازي: (فلا يبعد أن يقال: إنه لما جاء الملك إلى إبراهيم وأخبره بأن الله تعالى بعثك رسولاً إلى الخلق طلب المعجز فقال:(رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ) على أن الآتي ملك كريم لا شيطان رجيم)(٦٩) .

(وروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والسدي (رضي الله عنهم): أن الله تعالى أوحى إليه إني متخذاً بشراً خليلاً : فاستعظم ذلك إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وقال إلهي ما علامات ذلك ؟ فقال : علامته أنه يحيي الميت بدعائه ، فلما عظم مقام إبراهيم عليه السلام في درجات العبودية وأداء الرسالة، خطر بباله:

إني لعلي أن أكون ذلك الخليل، فسأل إحياء الميت فقال:(رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ) بأني خليل لك) (٧٠)

أما ما ورد عن البعض أن إبراهيم عليه السلام طرأ عليه الشك في حقيقة عملية الإحياء فذلك قول لايمكن أن يصدق لأن الأنبياء قد اختارهم الله تعالى واصطفاهم من بين الخلق فلا يمكن أن يقع ذلك الشك لشخصية النبي المرسل من عند الله تعالى

يقول سيد قطب (رحمه الله) (إنه تشوف لا يتعلق بوجود الإيمان وثباته وكماله واستقراره وليس طلباً للبرهان أو تقوية للإيمان.. إنما هو أمر آخر، له مذاق آخر.. إنه أمر الشوق الروحي، إلى ملابسة السر الإلهي، في أثناء وقوعه العملي) (٧١).

ومما يدل على هذا المعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم قد نفى وقوع الشك لإبراهيم عليه السلام (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)(٧٢) .

روى الإمام البغوي (رحمه الله) عن المزني(رحمه الله) (أنه قال على هذا الحديث لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولا إبراهيم في أن الله قادر على أن يحيي الموتى وإنما شكا في أنه هل يجيبهما إلا ما سألا وقال أبو سليمان الخطابي ليس في قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم ولكن فيه نفي الشك عنهما يقول إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لا يشك)(٧٣)

وقال ابن كثير (رحمه الله) (وفيه الإعلام أن المسألة من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال)(٧٤)

فحقق الباري عز وجل سؤال إبراهيم عليه السلام فأخبره أن يأخذ أربعة من الطير ثم يقطعهن بيده إلى أجزاء متناثرة ويجعل على كل جبل من الأجزاء جزءاً ثم بعد أن تتحقق عملية الإماتة لتلك الطيور بصور مشاهدة، وبفعل المخلوق طلب منه الباري عز وجل أن يشاهد العملية الكبرى وهي عملية الإحياء، وأن يدرك حقيقة الأمر بمعاينته فأمره أن يدعهن فدعاهن إبراهيم عليه السلام فأتين إليه سعيا

وهذا ما اجمع عليه المفسرون أن إبراهيم عليه السلام قام بفعل ذلك الأمر حقيقة لم يخالف في ذلك غير أبي مسلم(رحمه الله) فأنه ذهب إلى أن إبراهيم أجرى تمرينا وممارسة بحيث لو دعى تلك الطيور لأجابته واتت إليه ومعنى قوله (فصرهن) عنده من(الإمالة والتمرين على الإجابة أي فعود الطيور الأربعة أن تصير بحيث إذا دعوتها أجابتك وأتتك ، فإذا صارت كذلك ، فاجعل على كل جبل واحداً حال حياته، ثم ادعهن يأتينك سعياً)(٧٥) .

وذكر ابن عباس (رضي الله عنهما) أن هذه الطيور هي: (الغرنوق، والطاوس، والديك، والحمامة، الغرنوق الكركي، وعن مجاهد(رحمه الله) قال: الأربعة من الطير: الديك والطاووس والغراب والحمام)(٧٦).

وفي تخصيص الطير عن بقية الحيوانات لتطبيق هذه العملية ذكر المفسرون عدة وجوه من أهمها:

الأول: أن الخليل عليه السلام لما ذبح الطيور وجعلها قطعة قطعة، ووضع على رأس كل جبل قطعاً مختلطة، ثم دعاها طار كل جزء إلى مشاكله، فقيل له كما طار كل جزء إلى مشاكله كذا يوم القيامة يطير كل جزء إلى مشاكله حتى تتألف الأبدان وتتصل به الأرواح ، ويقرره قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ (٧٧)) (٧٨).

الثاني: لأنه أقرب إلى الإنسان بإعتبار طلبه المعاش والمسكن ولذلك وقع في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لو أنكم توكلتم على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)(٧٩)

الثالث: أن من صفته الطيران في السماء وكان من همة إبراهيم عليه الصلاة والسلام الميل إلى جهة العلو والوصول إلى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته(٨٠)

وجيء بمن للتبعيض للدلالة على أنّ الأربعة مختلفة الأنواع ، والظاهر أنّ حكمة التعدّد والاختلاف زيادة في تحقق أنّ الإحياء لم يكن أهون في بعض الأنواع دون بعض، فلذلك عدّدت الأنواع) (٨١)

وهذا التخصيص للطير دون بقية الحيوانات ليدعونا إلى التفكر والتأمل في هذا المخلوق العجيب الذي حضي بمميزات خصها الله تعالى بها، وكلما تأملنا فيه وعمقنا التفكر أكثر فأكثر حصل لدينا اليقين المتزايد على عظمة الخالق ومدى قدرته على المخلوق فحري بنا أن نقف وقفات متأملين لما اشتمل عليه هذا الطير من خصائص عجيبة

المطلب الثالث: الطير مع سليمان عليه السلام

أعطى الله سبحانه وتعالى سليمان عليه السلام الملك العظيم فسخر له المخلوقات، فهي تعمل بخدمته وتحت أمره ومما أعطاه سبحانه وتعالى أن سخر له الجنود تنفذ ما يأمرها سليمان عليه السلام وكان الطير جنداً من جند سليمان عليه السلام وعلمه منطقها

قال تعالى في علاقة الطير معه عليه السلام ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (٨٢) وقال تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (٨٣) وقال أيضاً ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ (٨٤)

قد ورث سليمان داود عليهما السلام النبوة، والملك وخصه سبحانه وتعالى بأمور لا تنبغي لأحد غيره فخاطب عليه السلام الناس بلغة تفصح عن اثر تلك النعمة وتبين مكانته الرفيعة فقال: ﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ وذلك ليس مفاخرة بل لبيان منزلته، والإفصاح عما خصه الله به وسخره تحت إمرته قال صلى الله عليه وسلم: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يوم القيامة وبيدي لواء الحمد وَلَا فَخْرَ...) (٨٥) وهي سياسة يسلكها الملوك في جلب الأنظار إليهم لتكون اقرب ما يمكن للتلقي والأخذ منهم فوهب الله تعالى سليمان معجزة العلم بما تنطق به الطير وما تتفاهم به في حياتها اليومية

ومعنى المنطق: (كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف، المفيد وغير المفيد، وقالت العرب: نطقت الحمامة، وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته، والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه، وَعَبَّرَ عَنْ أَصْوَاتِ الطَّيْرِ بِلَفْظِ مَنْطِقَ تَشْبِيهًا لَهُ بِنُطْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ هُوَ ذُو دَلَالَةٍ لِسُلَيْمَانَ عَلَى مَا فِي ضَمَائِرِ الطَّيْرِ، فَحَقِيقَةُ الْمَنْطِقِ الصَّوْتُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى حُرُوفٍ تَدُلُّ عَلَى مَعَانٍ وَهَذَا الْعِلْمُ

سَمَّاهُ الْعَرَبُ علم الْحُكْلِ (بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْكَاف) (٨٦)

وللطيور والحيوان والحشرات وسائل للتفاهم هي لغاتها ومنطقها– فيما بينها، والله سبحانه خالق هذه العوالم يقول: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٨٧) (ولا تكون أمما حتى تكون لها روابط معينة تحيا بها، ووسائل معينة للتفاهم فيما بينها. وذلك ملحوظ في حياة أنواع كثيرة من الطيور والحيوان والحشرات. ويجتهد علماء هذه الأنواع في إدراك شيء من لغاتها ووسائل التفاهم بينها عن طريق الحدس والظن لا عن الجزم واليقين)(٨٨)

وقد يحصل لبعض الناس من خلال الاجتهاد و الممارسة والتمرين على تفهم لغات الطيور بعض المعرفة فيها وهذا غير ما أعطاه الله تعالى لسليمان عليه السلام لأنه حاصل بمعجزة خارقة لعادة البشر العادية لا عن طريق الاجتهاد بالعلم المؤدي إلى معرفتها

وفي هذا الأمر معجزة لكتاب الله تعالى وذلك أنك ترى اليوم الأمم تبحث بشتى الوسائل باذلة الجهود في الحصول على لغات الطيور ومعرفة أنواعها لتتعرف على أغراضها (فكأنه تعالى يقول: إنكم لا تعرفون لغات الطيور الآن وعلّمتها سليمان، وسيأتي يوم ينتشر فيه علم أحوال مخلوقاتي، ويطلع الناس على عجائب صنعي فيها)(٨٩)

قال الالوسي (رحمه الله) وبالجملة علم من منطقها ما علم الإنسان من منطق بني صنفه، ولا يستبعد أن يكون للطير نفوس ناطقة ولغات مخصوصة تؤدي بها مقاصدها كما في نوع الإنسان إلا أن النفوس الإنسانية أقوى وأكمل، ولا يبعد أن تكون متفاوتة تفاوت النفوس الإنسانية)(٩٠)

وفي الاقتصار بذكر معرفته عليه السلام بمنطق الطير إيجاز(لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَهِيَ أَبْعَدُ الْحَيَوَانِ عَنِ الرُّكُونِ إِلَى الْإِنْسَانِ وَأَسْرَعُهَا نُفُورًا مِنْهُ، عَلِمَ أَنَّ مَنْطِقَ مَا هُوَ أَكْثَرُ اخْتِلَاطًا بِالْإِنْسَانِ حَاصِلٌ لَهُ بِالْأَحْرَى كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها فَتَدُلُّ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ عَلِمَ مَنْطِقَ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ)(٩١)

وفي إعطائه هذه المعجزة فائدة بالغة وذلك أن جعله الله سبيلا يهتدى به للوصول إلى معرفة أحوال المخلوقات المحيطة به عليه السلام وذلك بما خص الله الطير بالقدرة العجيبة في التوصل لذلك الأمر ونوع الهدهد هو مثل يقرب تلك القدرة وذلك بإحاطته بأخبار الأمم وإبلاغها لسليمان عليه السلام، والقدرة على تناقل الأخبار وتفهيمها لمن أمر بنقلها إليه والرجوع بجواب تلك الأخبار بصورة واضحة من غير زيادة ولا نقصان (وَوَرَاءَ ذَلِكَ كُلهِ انْشِرَاحُ الصَّدْرِ بالحكمة والمعرفة لكثير مِنْ طبائعِ الْمَوْجُودَاتِ وَخَصَائِصِهَا) (٩٢)

ثم بين سبحانه وتعالى في غير هذه الاية انه سخر الطير ليكون من جند سليمان عليه السلام يأتمر بامره كما ينتهي بنهيه ولا يخرج عن طاعته فقال تعالى:﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾

بين تعالى أصناف الجند التي كانت محشورة تحت أمرة سليمان عليه السلام وهي: (صنف الجن وهو لتوجيه القُوى الخفية، والتأثير في الأمور الروحية، وصنف الإنس وهو جنود تنفيذ أوامره ومحاربة العدو وحراسة المملكة، وصنف الطير وهو من تمام الجند لتوجيه الأخبار وتلقيها وتوجيه الرسائل إلى قُواده وأمرائه، واقتُصر على الجن والطير لغرابة كونهما من الجنود فلذلك لم يُذكر الخيل وهي من الجيش، وتقديم الجن على الإنس في البيان للمسارعة إلى الإيذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من أول الأمر لما أن الجن طائفة عانية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير) (٩٣)

ولا يشترط أن يكون الجنود الداخلون في جمع سليمان عليه السلام جميع الجن ولا جميع الإنس وكذلك الطير بل يمكن أن يكون صنف من كل نوع من أنواع الجنود المحشورة وقد ورد عن بعض العلماء أنه كان يأتيه من الطير صنف لكل نوع من أنواع الطيور(٩٤)

ثم بين تعالى الحالة التي كان عليها جنود سليمان عليه السلام في كيفية الدخول تحت إمرته وهيمته عليهم وكذلك في المنهج المنتظم الذين اتبعوه في الوقوف بين يدي الملك فقال تعالى واصفاً تلك الحالة (فهم يوزعون)

والوزْعُ: الكفّ عما لا يراد، فشمل الأمر والنهي، أي فهم يؤمرون فيأتمرون ويُنهون فينتهون ، فقد سخر الله له الرعية كلها .

قال الإمام الزمخشري (رحمه الله) يحبس أولهم على آخرهم، أي : توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد ، وذلك للكثرة العظيمة(٩٥) .

وفي الآية إشارة إلى أن جمع الجنود وتدريبها من واجبات الملوك ليكون الجنود متعهدين لأحوالهم وحاجاتهم ليشعروا بما ينقصهم ويتذكروا ما قد ينسونه عند تشوش الأذهان عند القتال وعند النفير(٩٦)

وقد ورد عن المفسرين أقوال في بيان سعة حجم معسكر سليمان عليه السلام وما كان داخلاً تحت أمرت سليمان عليه السلام، وكيفية تسخير الباري عز وجل لهذه المخلوقات ان تعمل في خدمة سليمان عليه السلام وذلك على وفق ما يوجهها قال محمد بن كعب (٩٧) (كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثنا عشر ألف خطوة فالبريد ثمانية وأربعون ألف خطوة لأنه أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريداً وقيل نسجت الجن له بساطاً من ذهب وحرير، فرسخاً في فرسخ وكان يوضع كرسيه في وسطه ، فيقعد وحوله كراسي الذهب والفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة، والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطيور بأجنحتها ، حتى لا تقع عليه الشمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة يعني حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به وأوحى الله إليه ، وهو يسير بين السماء والأرض أني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح وأخبرتك به)(٩٨)

وهذه القوة التي وهبها الله تعالى لعبده سليمان عليه السلام قد وهبها للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن صرف نفر من الجن يستمع القران ويخاطبونه، وإنما لم يتصرف النبي صلى الله عليه في إدخالهم تحت إمرته إكراما وتعظيماً لسليمان عليه السلام الذي سأل ربه ملكاُ لا ينبغي لأحدٍ غيره وقد ورد أنه:

بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم ملك لم يعرفه فقال إن ربك تعالى يخيرك بين أن تكون نبيا عبدا أو نبيا ملكا فأشار إليه جبريل عليه السلام أن تواضع قال نبيا عبدا) (٩٩)

فرتبة رسول الله رتبة التشريع وهي أعظم من رتبة الملك، وسليمان لم يكن مشرِّعاً لأنه ليس برسول، فوهبه الله ملكاً يتصرف به في السياسة)(١٠٠) .

وقد سن سليمان عليه السلام السياسة الرشيدة وذلك بتتبع أحوال رعيته، والبحث عن جنده مما يدل على قرب الراعي من الرعية قال تعالى:﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴾

وأصل التفقد معرفة الفقد والظاهر أنه عليه السلام تفقد كل الطير وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الملك والاهتمام بالرعايا لاسيما الضعفاء منها(١٠١)

واختلف المفسرون في تعيين السبب الذي من أجله تفقد سليمان عليه السلام الطير ونبين أهم الأقوال في تعيين المراد:

القول الأول: أن ذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الملك والتهمم بكل جزء منها وهذا ظاهر الآية ومما يدل عليه أنه روي أن سليمان عليه السلام اذا خرج من بيته تحفه أصناف أنواع الطير وتخرج إليه الجن والإنس فبدى غياب صنف الهدهد فسأل عنه سليمان عليه السلام (١٠٢) .

الثاني: تفقد الطير لأن الشمس دخلت من موضع الهدهد حين غاب فكان ذلك سبب تفقد الطير ليتبين من أين دخلت الشمس.

الثالث: إنما طلب الهدهد لأنه احتاج إلى معرفة الماء على كم هو من وجه الأرض لأنه كان نزل في مفازة عدم فيها الماء وأن الهدهد كان يرى باطن الأرض وظاهرها فكان يخبر سليمان بموضع الماء ثم كانت الجن تخرجه في ساعة يسيرة تسلخ عنه وجه الأرض كما تسلخ الشاة وهذا قول ابن عباس حين سأل عبد الله بن سلام عن سبب تفقد سليمان الطير(١٠٣) .

ويظهر والله اعلم إن الهدهد الذي تفقده سليمان عليه السلام ليس هدهداً من عموم أنواع الهدهد كان هدهداً خاصاً بعينه (إنّ اللّه تعالى لم يقل : وتَفَقَدَ الطَّير فقال ما لي لا أرى هدهداً من عُرْض الهداهد فلم يوقع قولَه على الهداهد جُملة ولا على واحدٍ منها غير مقصودٍ إليه ولم يذهب إلى الجنس عامَّة ولكِنَّهُ قالَ : وَتَفَقَّدَ الطّيرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الهُدْهُدَ فأدخَلَ في الاسم الألفَ واللام فجعله معرفة فدلَّ بذلك القصد على أنَّه ذلك الهدهدُ بعينه) (١٠٤)وقصة الهدهد مشهورة يطيل المقام بذكرها فهي مليئة بالدروس والعبر والشواهد الدالة على عظمة هذا الصنف من المخلوقات لما خصه الله تعالى من خصائص قد يعجز عن إدراكها البشر.

المبحث الثالث

الطير وصلته بالإنسان

المحور الثالث من المحاور التي اشتملت عليها الآيات الخاصة بموضوع الطير بين علاقة الطير مع الإنسان وأوجه ترابط هذه العلاقة كما دعا الإنسان للتفكر والتمعن في هذا المخلوق ثم بعد ذلك أخذ العبر والعظات، والشعور بعظمة الخالق سبحانه وتعالى كل هذا يتطلب منا زيادة في الإيضاح وبياناً لمدلول الآيات القرآنية وهو موضوع هذا المبحث وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:التفكر في الطير مسخرا في السماء

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٥) وقال أيضاً: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾ (١٠٦)

يبين سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة أنه جلت قدرته أنكر على المشركين وذلك لعدم تفكرهم في المخلوق العجيب الطير الذي سخره الله تعالى في جو السماء وذلك لما في هذه الحالة للطير من أمور عجيبة يعجز عنها أي مخلوق فهي كافية لتبصيرهم بقدرة الله تعالى وكافية في إرشادهم إلى الطريق المستقيم فطيران الطير في الفضاء بين السماء والأرض من ابلغ الآيات الدالة على عظمة الباري عز وجل يقول الشعراوي (رحمه الله) إياك أنْ تقول إنها رَفْرفة الأجنحة، فنحن نرى الطائر يُثبّت أجنحته في الهواء، ومع ذلك لا يقع إلى الأرض، فهناك إذن ما يمسكه من الوقوع؛ لذلك قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ﴾

فهي آية من آيات الله تمسك هذا الطير في جَوِّ السماء، فتراه حُراً طليقاً لا يجذبه شيء إلى الأرض، ولا يجذبه شيء إلى السماء، بل هو حُرٌّ يرتفع إنْ أراد الارتفاع، وينزل إنْ أراد النزول)(١٠٧).

فقد هيأ الباري عز وجل الأسباب التي يمكن للطير بواسطتها أن يحلق في الفضاء الطلق وذلك (بأن خلق الطير خلقة معها يمكنه الطيران وخلق الجو خلقة معها يمكن الطيران فيه لما أمكن ذلك، فإنه تعالى أعطى الطير جناحا يبسطه مرة ويكسره أخرى مثل ما يعمله السابح في الماء، وخلق الهواء خلقة لطيفة رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه، ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا) (١٠٨) قال الإمام الغزالي رحمه الله (اعلم رحمك الله أن الله تعالى خلق الطير وأحكمه حكمة تقتضي الخفة للطيران. ولم يخلق فيه ما يثقله، وخلق فيه ما يحتاج إليه وما فيه قوامه وصرف غذائه فقسم لكل عضو منه ما يناسبه. فإن كان رخوا أو يابسا أو بين ذلك، انصرف إلى كل عضو من غذائه ما هو لائق به)(١٠٩).

وكذلك تدخل الهواء في تسهيل عملية الطيران والثبات في الفضاء من غير واسطة لذلك قال تعالى (في جو السماء) فالهواء هو المؤثر في توازن الطير وثباته في الفضاء وسيره بما يحب ونزوله متى شاء (والمتأمل في الكون يجد أن الهواء هو العامل الأساسي في ثبات الأشياء في الكون، فالجبال والعمارات وغيرها. . ما الذي يمسكها أنْ تقع؟ إياك أن تظن أنه الأسمنت والحديد وهندسة البناء...لا بل يمسكها الهواء الذي يحيط بها من

كل جانب، بدليل أنك لو فَرَّغتَ جانباً منها من الهواء لانهارتْ فوراً نحو هذا الجانب؛ لأن للهواء ضغطاً، فإذا ما فرَّغْتَ جانباً منها قَلَّ فيه الضغط فانهارتْ)(١١٠).

وفي معنى تسخير الهواء مبالغة لأن التسخير معناه (جعل الشيء منقادا لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للإنسان والواقع ههنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران)(١١١).

كما أن الأجنحة هي من الأمور التي أودعها الله في الطير لكي يستطيع بواسطتها التحليق وكذلك الذيل له الأهمية في التوازن وعدم السقوط إلى الأرض وذلك مدلول قوله تعالى (ما يمسكهن إلا الله)

(وإمساك الله إيّاها خلقه الأجنحة لها والأذنَاب، وجعله الأجنحة والأذناب قابلة للبسط، وخلق عظامها أخفّ من عظام الدوابّ بحيث إذا بسطت أجنحتها وأذنابها ونهضت بأعصابها خفّتْ خفّة شديدة فسبحت في الهواء فلا يصلح ثقلها لأن يخرق ما تحتها من الهواء إلا إذا قبضت من أجنحتها وأذنابها وقوّست أعصاب أصلابها عند إرادتها النّزول إلى الأرض أو الانخفاضَ في الهواء) (١١٢) فشكل الجسم، والبسطة في الأجنحة المزودة بالريش والعظام المجوفة الخفيفة الوزن، والأكياس الهوائية الموجودة بين الأحشاء وهي متعلقة بين الرئتين وتمتلئ بالهواء عند الطيران فيخف وزن الطير كل ذلك من الوسائل التي خص الله تعالى بها الطير وجعلها سبباً لتحليقه بالفضاء وعودته إلى الأرض سالماً فإذا ما اختلت إحدى هذه الوسائل سرعان ما يفقد الطير التوازن فيهبط إلى الأرض)(١١٣)

وفي مدى المسافة التي يرتفع فيها الطير لم يرد شيئا إلا ما ورد عن كعب الأحبار إن الطير يرتفع فى الجو اثنى عشر ميلا ولا يرتفع فوق ذلك، ومما يدل على صحة هذا القول أن علماء الطبيعة بينوا أن الهواء يتخلخل في الطبقات العالية في الفضاء مما قد يفقد الطير توازنه في الهواء والله اعلم (١١٤).

وآية سورة الملك اشتمل التذكير فيها بعجيب خلق الطير بصورة أعمق ودلالة أدق وذلك بذكر الأوصاف التي يكون عليها الطير وهو محلق في الفضاء قال تعالى ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾

وقد غفل الكثير عن إدراك الأمور العجيبة التي خص الله بها المخلوقات ومن أهمها الطير لذلك نجد أن الباري عز وجل يرشدنا إلى التفكر في مخلوقاته وإظهار الآيات الدالة على وحدانيته لما فيها من الصنع الدقيق الدال على ذلك الأمر قال تعالى:﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾(١١٥)﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾(١١٦)

(فالله سبحانه وتعالى يدعونا أن نتفكر ونتأمل في هذا الطير، وهو يصف جناحيه ويفردهما، ثم يقبضهما ويضمهما، وهو في الحالين: حالة الصف الغالبة، وحالة القبض العارضة يظل في الهواء، يسبح فيه سباحة في يسر وسهولة ويأتي بحركات يخيل إلى الناظر أحيانا أنها حركات استعراضية لجمال التحليق والانقضاض والارتفاع! تأمل هذا المشهد، ومتابعة كل نوع من الطير في حركاته الخاصة بنوعه، لا يمله النظر، ولا يمله القلب وهو متعة فوق ما هو مثار تفكير وتدبر في صنع الله البديع، الذي يتعانق فيه الكمال والجمال!)(١١٧)

الأوصاف التي اشتمل عليها الطير وبينتها الاية الكريمة هي:

الأول ما أفاده قوله : فوقهم فإن جميع الدواب تمشي على الأرض والطير كذلك فإذا طار الطائر انتقل إلى حالة عجيبة مخالفة لبقية المخلوقات وهي السير في الجوّ بواسطة تحريك جناحيه وذلك سرّ قوله تعالى: "يطير بجناحيه" لقصد تصوير تلك الحالة.

الثاني: ما أفاده قوله تعالى(صافات) أي (باسطات أجنحتهنّ في الجوّ عند طيرانها؛ لأنهن إذا بسطنها صففن قوادمها صفاً وهذه الصفة مما يمتاز بها الطير عن غيره من باقي الطيور وذلك (باختصار حجم عضلات الصدر وقوة الأربطة المتصلة بالأجنحة)(١١٨)

الثالث: ما أفاده قوله تعالى(ويقبضن) (والقَبض: ضد البسط، والمراد به هنا ضد الصّف المذكور قبله، فإن قلت: لم قيل: ويقبضن، ولم يقل: وقابضات ؟؛ لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة ؛ لأنّ الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مدّ الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طار غير أصل بلفظ الفعل، على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة كما يكون من السابح)(١١٩).

وجيء في وصف الطير بلفظ "صافات" (بصيغة الاسم لأن الصف هو أكثر أحوالها عند الطيران فناسبه الاسم الدال على الثبات، وجيء في وصفهن بالقبض بصيغة المضارع لدلالة الفعل على التجدد، أي ويجددن قبض أجنحتهن في خلال الطيران للاستعانة بقبض الأجنحة على زيادة التحرك عندما يَحسسن بتغلب جاذبية الأرض على حركات الطيران (١٢٠).

وبعد هذا البيان في إظهار هذه الآية العجيبة التي تدهش أصحاب العقول بما اودع الله تعالى فيها من بدائع الصنع الإلهي حري بغير المسلم أن يتفكر بمخلوقات الله تعالى التي جعلها الله آيات للتفكر والتأمل الذي يهدي البشرية الى الرجوع الى منهج الله تعالى والابتعاد عن كل طريق ضال لا يهدي الى الخير؛ لذلك انكر سبحانه وتعالى عدم تفكرهم بما في هذه الآيات الكافية لهدايتهم؛ ومن ثم ينبغي على المسلم ان يحدق النظر وان يقف وقفات طويلة للتأمل في تلك الآيات لأنها الطريق الذي يلمس به صنع الله الدقيق في خلقه ويتحقق له اليقين بعجز جميع المخلوقات عن هذا الصنع ثم بعد ذلك يتذوق حلاوة الإيمان التي أراد الله تعالى أن يعيشها الإنسان في حياته لذلك ختم تعالى الآية الكريمة بقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» فالقلب المؤمن هو القلب الشاعر ببدائع الخلق والتكوين، المدرك لما فيها من روعة باهرة تهز المشاعر وتستجيش الضمائر وهو يعبر عن إحساسه بروعة الخلق، بالإيمان والعبادة والتسبيح(١٢١).

ومن ثم إن هذه الآية_ آية خلق الطير_ ليست هي الآية الوحيدة التي ينبغي التأمل في صنعها لأدراك مدى عظمة الله تعالى وقدرته بل ان جميع المخلوقات هي علامات مبرهنة تستدعي البشرية للتفكر في صنعها وما أودع الله فيها من بدائع يعجز عنها جميع الخلق وتخصيص الطير في الذكر لأن (القرآن يأخذ بأبصار القوم وقلوبهم إلى كل مشهد يملكون رؤيته وإدراكه ويلمس قلوبهم بإيحاءاته وإيقاعاته، وإلا فصنعة الله كلها إعجاز وكلها إبداع، وكلها إيحاء وكلها إيقاع. وكل قلب وكل جيل يدرك منها ما يطيقه، ويلحظ منها ما يراه حسب توفيق الله تعالى) (١٢٢).

المطلب الثاني: الطير أمة مماثلة للإنسان

خلق الله تعالى الكون وقدر ما فيه من الأجزاء الدقيقة التي قد لا يصل إلى حقيقتها الإنسان وبين سبحانه وتعالى أن الحيوانات التي تعيش من حولنا هي أمم وجماعات متفاهمة فيما بينها تسير وفق نظام متكامل وان لم ندرك إلا القليل من تلك الحقيقة فقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (١٢٣)

فالطير المخلوق العجيب في صنعه المدهش في التفكر بما أودع الله فيه من أمور هو جماعات وأمم متعايشة فيما بينها في عالم متكامل لما تحتاجه تلك الأمم، وله خصائص ووسائل للتفاهم فيما بينها وذلك بفطرة الله تعالى لها ولا يمكن تغييب تلك الأمور المتحققة في الطيور (لأنها لا تكون أمما حتى تكون لها روابط معينة تحيا بها، ووسائل معينة للتفاهم فيما بينها، وذلك ملحوظ في حياة أنواع كثيرة من الطيور والحيوان والحشرات)(١٢٤)

وجاء في الحديث:(لولا أن الكلابَ أمةٌ من الأممِ لأمرت بقتلها...)(١٢٥)

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(قرصت نملةٌ نبياً من الأنبياء فأمر بقريةِ النمل فأحرقت فأوحى الله إليه أن قرصتك نملةٌ أحرقت أمةً من الأمم تسبح)(١٢٦).

وعن جابر بن عبد الله قال قل الجراد في سنة من سني عمر التي ولي فيها فسأل عنها فلم يخبر بشيء فاغتم لذلك فأرسل راكبا فضرب إلى اليمن وآخر إلى الشام وآخر إلى العراق يسأل هل رأى من الجراد شيئا أم لا قال فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله عز وجل ألف أمة ستمائة في البحر وأربعمائة في البر فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلكت تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه)(١٢٧)

قال الفرّاء (رحمه الله): يقال إن كل صنف من البهائم أمة(١٢٨)

وقد بين سبحانه وتعالى أن هذه الأمم والجماعات من الطير لهي مماثلة لبني الإنسان الذي هو كذلك أمم وجماعات ولكن هنا السؤال الدقيق الذي يجلب الانتباه وهو ماهي أوجه التماثل بيننا وبين الطيور؟ وقد ذكر المفسرون عدة وجوه تجعل الطير بطبيعته مماثلاً للإنسان منها:

الأول: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يريد، يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني ويحمدونني، وإلى هذا القول ذهب طائفة عظيمة من المفسرين وقالوا: إن هذه الحيوانات تعرف الله وتحمده وتوحده وتسبحه واحتجوا عليه بقوله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (١٢٩) وبقوله في صفة الحيوانات ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (١٣٠)

وعن أبي الدرداء(رضي الله عنه) أنه قال: أبهمت عقول البهائم عن كل شيء إلا عن أربعة أشياء: معرفة الإله، وطلب الرزق، ومعرفة الذكر والأنثى، وتهيؤ كل واحد منهما لصاحبه)(١٣١).

الثاني: أن المماثلة هي كون الله تعالى خلقها أمماً وجماعات يشبه بعضها البعض وتتعارف فيما بينها وتتحد أصنافها في طبيعة خلقها فهي تأكل وتشرب وتتوالد كما أن المدبر لها والرازق هو الله تعالى ففيها مماثلة

للإنسان قال ابو السعود (رحمه الله)(اي كل امة منها مثلكم في ان احوالها محفوظة واموها مقننة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد ومنتظمة في سلك التقديرات الإلهية والتدبيرات الربانية)(١٣٢).

الثالث: أراد تعالى أنها أمثالنا في أنها تحشر يوم القيامة ويوصل إليها حقوقها،

عن أبي هريرة(رضي الله عنه) في قوله عز وجل أمم أمثالكم قال يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا (١٣٣)

هذه أهم الأقوال الواردة عن المفسرين في مماثلة الطير وبقية الحيوانات للإنسان ولا يمكن أن يقال إن جميع الصفات التي خص الله تعالى بها الإنسان هي قد تتحقق بالأمم الأخرى وذلك لا يصح لأنه لا يبقى للإنسان ميزة تميزه على الآخرين فالله تعالى كرم الإنسان بأن أعطاه العقل الذي لا يشترك به غيره وكذلك صفات أخرى خص الله تعالى الإنسان بها دون غيره

ولكن المماثلة المقصودة هي: تحقق وجود صفات في الأمم الأخرى وهذه الصفات في الأصل متحققة في الإنسان وذلك يكون في (التشابه في فصول الحقائق والخاصّات التي تميّز كلّ نوع من غيره، وهي النظم الفطرية التي فطر الله عليها أنواع المخلوقات، فالدّواب والطير تُماثل الأناسي في أنّها خلقت على طبيعة تشترك فيها أفراد أنواعها وأنّها مخلوقة لله معطاة حياة مقدّرة مع تقدير أرزاقها وولادتها وشبابها وهرمها، ولها نظم لا تستطيع تبديلها)(١٣٤).

وهناك شواهد تدل حقيقة على مماثلة الطير للإنسان والله تعالى علم الإنسان تلك الخصائص التي هي الروابط التي بوجودها يسمى الطير امة وبها يكون مماثلاً للإنسان ومن هذه الشواهد:

أن الله تعالى علم سليمان عليه السلام منطق الطير فهو يعرف اللغة التي من خلالها يتفاهم فيما بينه، ويتماشى مع حركة الحياة ويفهم الروابط التي تكون نظاماً به يكون صلاح الحياة وسعادتها وتجنب الأذى الذي قد يلحق بها فالنملة عندما رأت سليمان وجنوده وتحقق في تصورها إيذاء امة النمل من قبلهم أسرعت بالتحذير فذاعت ذلك البيان بخطاب تستشف منه الشعور بالمسؤولية والحفاظ على سلامة الأمة فقالت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ (١٣٥) فسمع سليمان ذلك الخطاب من تلك النملة الصغيرة

وكذلك الهدهد الذي صدع بذلك الخبر اليقين الذي كان امانة لابد من اعلامها لملكه لأنه رأى اناساً يعبدون غير خالقهم فقدم الخبر من أجل الدعوة الى الله تعالى واخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة رب العباد وذلك الامر مكلف به كل انسان بل هو امانة في اعناقهم ان يوحدو الله في العبادة ويدعوا الخلائق الى تلك العبادة فهو مثال في غاية الوضوح على قرب صورة المماثلة بين امة الطير وبين الانس

ومن أهم الشواهد أن كل فرد من امة الطير مؤجل اجله ومقدر رزقه (فلو أن عدد الطيور نقصت عما هي عليه لزاد عدد الحشرات والتي بدورها تأكل جميع النباتات والمزروعات فتفنى الحياة على الأرض ... لذلك فكل امة لها حجم وعدد محسوب عند الله تعالى لكي يبقى التوازن في البقاء مستمرا) (١٣٦)

وللطير خصائص يمتاز بها عن غيره من الحيوانات (فالجهاز الهضمي للطيور يختلف عن باقي الحيوانات، إذ يمتد من رأس كل طائر جزء صلب خال من الأسنان، عظمي التركيب هو المنقار الذي يستخدم في التغذية بدلاً من الفم والشفتين والأسنان عند سائر الحيوان إذ يبتلع الطير غذاءه بلا مضغ وتختلف مناقير الطيور بأختلاف انواع غذائها) (١٣٧)

وقد بذل العلماء المتخصصون لإظهار ما يمكن من الخصائص الدقيقة لكل امة من الأمم وبيانها من حيث مماثلتها للإنسان ولازالوا يغوصون لأظهارها وسيبقى الانسان على طول الزمن يظهر له مدى العلاقة القريبة بين المخلوقات وبني الانسان يقول سيد قطب (رحمه الله) (وهي الحقيقة التي تتسع مساحة رؤيتها كلما تقدم علم البشر، ولكن علمهم لا يزيد شيئاً على أصلها! وإلى جانبها الحقيقة الغيبية الموصولة بها، وهي إحاطة علم الله اللدني بكل شيء، وتدبير الله لكل شيء.. وهي الحقيقة التي تشهد بها تلك الحقيقة المشهود)(١٣٨).

فتلك عناية الله تعالى البالغة في خلقه التي احتارت لها عقول غير المهتدين من الناس الذين لم يتذوقوا حلاوة اليقين بالإيمان بأن تلك الآيات هي دلائل لعظمة الله وتفرده بذلك الصنع الدقيق وعدم تفريطة بأحوال تلك الأمم التي تسير وفق نظام منسجم مترابط بجميع اجزائه لذلك ختم سبحانه هذا المشهد المدهش بخاتمة مناسبة فقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ (١٣٩)

قال ابن كثير (رحمه الله) (أي الجميع علمهم عند الله ولا ينسى واحداً من رزقه وتدبيره سواء كان بريا أو بحريا كقوله)﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ (١٤٠) أي: مفصح بأسمائها وأعدادها ومظانها وحاصر لحركاتها وسكناتها)(١٤١).

المطلب الثالث: الطير من نعيم أهل الجنة

بين الله تعالى في أثناء الحديث عن ذكر نعيم أهل الجنة أن من أصناف ذلك النعيم هو لحم الطير ذلك المخلوق العجيب الذي خصه الله تعالى بمزايا تفرد بها عن بقية الحيوانات مما تدعونا إلى التأمل فيها فيتجلى بوضوح من ذلك التأمل عظمة الله تعالى المودعة تلك المزايا في الطير فقال تعالى﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾(١٤٢) وقال أيضا:﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ (١٤٣) فاللحم الذي يتمنونه بما تشتهيه أنفسهم يكون بين أيديهم وذلك ما خص الله بها أهل الجنة من النعيم وقد بين صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون فقال صلى الله عليه وسلم:(يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس")(١٤٤)

وقد استغرب اليهودي من هذه الحقائق لذلك أثار سؤالاً للنبي صلى الله عليه وسلم في مدى صدق هذه الحقيقة، روي عن زَيْدِ بن أَرْقَمَ قال: (أتى النبي صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فقال يا أَبَا الْقَاسِمِ أَلَسْتَ تَزْعُمُ ان أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فيها وَيَشْرَبُونَ وقال لأَصْحَابِهِ ان أَقَرَّ لي بِهَذِهِ خَصَمْتُهُ قال فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَلَى والذي نفسي بيده ان أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ في الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ

وَالْجِمَاعِ قال، فقال له اليهودي فان الذي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ له الْحَاجَةُ قال فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَاجَةُ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ من جُلُودِهِمْ مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ فإذا الْبَطْنُ قد ضَمُرَ)(١٤٥) .

قال الإمام الرازي (رحمه الله) (وجمع أوصافاً حسنة في قوله مما يشتهون، لأنه لو ذكر نوعاً فربما يكون ذلك النوع غير مشتهى عند بعض الناس فقال كل أحد يعطى ما يشتهي، فإن قيل الاشتهاء كالجوع وفيه نوع ألم ، نقول ليس كذلك، بل الاشتهاء به اللذة والله تعالى لا يتركه في الاشتهاء بدون المشتهي حتى يتألم ، بل المشتهي حاصل مع الشهوة) (١٤٦)

وللطير صفات يكون عليها في الجنة قد دلت عليها النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم والآثار الواردة عن الصحابة (رضي الله عنهم) وهذه الصفات هي:

الأول: أنها تكون مهيئة لأن تأكل؛ وذلك بأن يكون لحمها ناضجاً بما طرأ عليه من وسائل النضوج كالشوي وغيره عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله: إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا (١٤٧)

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ميمونة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن الرجل ليشتهي الطير في الجنة فيجيء مثل ألبختي حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير) (١٤٨)

قال ابن الجوزي(رحمه الله) معقباً على هذا (فإن قيل: فأين يشوي اللحم وليس في الجنة نار فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوي بـ: "كن" وأجاب آخرون: بأنه يشوى خارج الجنة ثم يؤتي به إليهم والصواب: أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه كما قدر هناك أسبابا لإنضاج الثمر والطعام على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لا تفسد شيئا)(١٤٩).

الثاني: أنها تكون ناعمة: عن أنس(رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
:(إن طير الجنة كأمثال البخت(١٥٠) ترعى في شجر الجنة فقال ابو بكر (رضي الله عنه): إن هذه لطير ناعمة، فقال أَكَلَتُها أنعم منها قالها ثلاثاً وأني لأرجوا أن تكون ممن يأكل منها يا أبا بكر) (١٥١)

الثالث: أنها تكون حاضرة عند الاشتهاء؛ ورد عن الحسن(رضي الله عنه) في قوله: ولحم طير مما يشتهون قال: لا يشتهي منها شيئا إلا صار بين يديه فيصيب منه حاجته ثم يطير فيذهب)(١٥٢).

الخاتمة

بعد الخوض في الموضوع وبذل الجهود قدر المستطاع نتج عن البحث الأمور الآتية:

أن الطير لم يكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى فهو متصلٍ بخالقه مسبحٍ له منيبٌ إليه، وهو من جنود الله تعالى المهيأة لرد أي حق قد سلب أو أن تنتقم من الظالم وذلك مما يلفت الأنظار للاتعاظ بالأمم السابقة .

ان الطير اشتمل على مشاهد في مواطن عديدة مختلفة بنوعها؛ فتارة يكون الطير معجزة خارقة لنبي من الأنبياء، وتارة يكون صورة مشاهدة من أجل رسوخ الإيمان في قلب الإنسان، بما يطرأ عليه من الأعراض التي يجريها الله تعالى فيه وأيضاً في هذا وغيره يكون الطير داعية من أجل نشر الدعوة التي قام بها الأنبياء فعندما

يشاهد مشهداً فيه مخالفة لمنهج الله تعالى أسرع ببذل الجهد من أجل التصحيح والرجوع لمنهج الله تعالى وذلك منهج الدعاة إلى الله تعالى .

الطير أمة لا تقل شأناً عن بقية الأمم، أمة تعيش وفق نظام متكامل مترابط لا ينقصه أي شيء وهو يسير في حياةٍ نحو أهداف يريد تحقيقها.

في حالة من أحوال الطير عندما يكون في جو السماء صافاً أجنحته حجة بالغة؛ حجة على غير المؤمن وذلك تقريعاً وتنكيلاً عليه لعدم الاعتبار والاتعاظ بهذه الآية فهي كافية لرجوعه إلى الصواب وقد أنكر القران على هذا الصنف من الناس، كما هي حجة شاهدة للمؤمن الذي تفكر في هذه الآية وشعر بعظمة الخالق لها فالتزم منهج الصواب

أن العلماء بجميع ما توصلوا إليه من اكتشافات حديثة تجاه هذا الصنف من الحيوانات فإنهم لم يصلوا إلى نهاية البحث وذلك لما أودع الله تعالى في هذا المخلوق من خصائص مليئة بالبراهين والآيات الدالة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا

المصادر

القران الكريم

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ابو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،.

٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، (د. ط١٩٩٧م) .

٣. تذكرة الحفاظ ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة : الأولى.

٤. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، تح : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٧(ط١).

٥. تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١ـ د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢ـ د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية / بيروت ، (ط١) – ١٤٢٢هـ .

٦. تفسير البغوي ، البغوي ، تح : خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة – بيروت(د. ط، د. ت)، ٣/٢٥٤، التفسير الكبير .

٧. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ،علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر – بيروت(د.ط١٩٧٩م).

٨. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي ، تح: د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت.

٩. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، (د.ط).

. تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ابو الفداء ، دار الفكر – بيروت، (د.ط)، ١٤٠١ هـ) .

١١.تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت:١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده – مصر (ط١/١٩٤٦م).

١٢.التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، د. محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر) ،(د،ط ، د.ت)، .

١٣. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تح : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت –،(ط ١)،(٢٠٠١م).

١٤.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تح : ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة – بيروت – (د.ط، ٢٠٠٠م)، ١/٩٣٥.

١٥.جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر– بيروت– ١٤٠٥ .

١٦.الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب – القاهرة.

١٧.حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار الكتب العلمية – بيروت .

١٨.الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل - بيروت - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٩.الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، دار الفكر - بيروت –(د.ط ١٩٩٣ م) .

٢٠.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢١.سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٩٩٤.

٢٢.سنن الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي.

٢٣.شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي ، تح: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش المكتب الإسلامي – دمشق _ بيروت – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، الطبعة : الثانية.

٢٤.صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،(ت:٢٥٦هـ) تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، ط٣د.ت).

٢٥.صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)

٢٦.صفة الجنة لابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تح: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة– مصر، مكتبة العلم، جدة – السعودية،.

٢٧.طبقات الحنابلة ، محمد بن أبي يعلى أبو الحسين ، تح : محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت.

٢٨.طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي ، تح : سليمان بن صالح الخزي مكتبة العلوم والحكم – السعودية – ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى.

٢٩.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت ٤/٤٠، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية – بيروت (ط ١– ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م).

٣٠. في ظلال القران، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق ، بيروت– القاهرة.(ط ـ ١٧ـ١٤١٢ هـ).

٣١.قصص الأنبياء أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تح: مصطفى عبد الواحد،مطبعة دار التأليف – القاهرة،(ط. ١٩٦٨م).

٣٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تح: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٣. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر – بيروت ، (ط١، د.ت).

٣٤.لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تح : دائرة المعرف النظامية ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ط٣ – ١٤٠٦.

٣٥.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي،(ت: ٨٠٧)، دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي – القاهرة ، بيروت – ١٤٠٧.

٣٦.محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت،(ط١ – ١٤١٨ هـ).

٣٧.مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت –(د.ط، ١٤١٥ – ١٩٩٥م).

٣٨.المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادر عطا كما، دار الكتب العلمية – بيروت – (ط١ـ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٣٩.مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١. ٢٠٠١م.

٤٠.معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبيدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، (ط١– د.ت).

٤١. المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد ت: ٥٠٢هـ ، دار المعرفة – لبنان ، تح: محمد سيد كيلاني، ص٥٤٨ ، ينظر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، تح : عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.

٤٢.موسوعة الاعجاز العلمي في القران الكريم والسنة المطهرة ، يوسف الحاج احمد ، دار ابن حجر، دمشق، (ط١، ٢٠٠٧م.

٤٣.الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، د:سمير عبد الحليم، طلياني، سورية، (ط٢، ٢٠٠٣،).

٤٤. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا البغدادي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٣ – ١٩٩٢.

الهوامش

---

(١) أحمد بن يحيى بن زيد أبو العباس النحوي الشيباني المعروف بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة، ينظر، طبقات الحنابلة ، محمد بن أبي يعلى أبو الحسين ، تح : محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، ١ /٨٣

(٢) الحافظ أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري المنشأ بغدادي الدار والوفاة الفقيه اللغوي الاخباري ولد بابي عبيدة سنة ١١٠ وتوفي سنة ٢٠٣ ثلاث ومائتين صنف من الكتب اخبار قضاة بصره ادعياء العرب اسماء الخيل اعراب القرآن مجاز القرآن ، ينظر هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا البغدادي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٣ – ١٩٩٢، ٦ /٤٦٦.

(٣) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تح : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت –،(ط ١)،(٢٠٠١م)،مادة، طير ، ١٤ /١٠.

(٤) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تح : محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت –(د.ط، ١٤١٥ – ١٩٩٥م)، مادة طير ١/١٦٩.

(٥) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر – بيروت ، (ط١ ، د.ت)، مادة طير ٤/٥٠٨.

(٦) يس/ ١٨.

(٧) أي تتشاءم منها، قال صاحب كتاب جمهرة اللغة:(وعِفْتُ الطيرَ أعيفه عِيافة ، إذا زجرته فتشاءمت به) ينظر، جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) تح: رمزي منير بعلبكي، (ط١)، ٢ / ٩٣٨.

(٨) البارح ما مر من الطير والوحش من يمينك إلى يسارك، ينظر، لسان العرب ٢ /٤١١.

(٩) تهذيب اللغة، مادة طير، ١٤ /١١.

(١٠) أخرجه البخاري ، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،(ت:٢٥٦هـ) تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧، ط٣د.ت)، كتاب الطب، باب الجذام، ٥ /٢١٥٨،رقم الحديث ٥٣٨٠.

(١١) الإسراء/ ١٣.

(١٢) المكان نفسه .

(١٣) الموسوعة الفقهية الكويتية،١٤٧/٢٩

(١٤) الإسراء /٤٤

(١٥)النور/ ٤١

(١٦) في ظلال القران، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق ، بيروت– القاهرة (ط ـ ١٧ـ١٤١٢ هـ) ، ٤/٢٥٢٢

(١٧) ينظر، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت ٤/٤٠، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية – بيروت (ط ١– ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) ، ٢٤/ ١٠.

(١٨) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٦ /١٨٣

(١٩) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، دار الفكر – بيروت، (د.ط)، ١٤٠١ هـ) ٣ /٢٩٨.

(٢٠) ارشاد العقل السليم الى مزايا القران الكريم، ٦ / ١٨٣ .

(٢١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تح: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٣/٢٥٠.

(٢٢) الأنبياء/ ٧٩

(٢٣) سبأ/١٠.

(٢٤) ص/ ١٩ .

(٢٥)الإسراء/ ٤٤.

(٢٦) في ظلال القران،٤/٢٣٩٠.

(٢٧) لسان العرب، ١/ ٢١٨.

(٢٨) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، (د. ط١٩٩٧م) ٢٢/١٥٦

(٢٩) ينظر التحرير والتنوير،١٧/١٢٠.

(٣٠) مقاتل بن سليمان بن بشير البجلي الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي نزيل مرو ويقال له بن دوال دوز البصري المفسر عن مجاهد والضحاك وعنه علي بن الجعد وابن عيينة اجمعوا على تضعيفه، ينظر،
لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تح : دائرة المعرف النظامية ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ط٣ – ١٤٠٦ – ١٩٨٦ ، ٧ /٣٩٧

(٣١) سليمان بن حيان الأزدي الكوفى ولد سنة أربع عشرة ومائة وحدث عن سليمان التيمى وهشام بن عروة وعنه أحمد بن حنبل وابن نمير وأبو كريب وأبو سعيد الأشج ويوسف بن موسى القطان وإسحاق بن راهويه وهناد بن السرى وحميد بن الربيع وطائفة اثبت منه مات سنة تسع وثمانين ومائة رحمه الله ، ينظر تذكرة الحفاظ ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة : الأولى ج١ /٢٧٢

(٣٢) تفسير البغوي ، البغوي ، تح : خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة – بيروت(د. ط، د. ت)، ٣/٢٥٤، التفسير الكبير ٢٢/١٧٣.

(٣٣) فتح القدير ٣/٤١٩.

(٣٤) ينظر التفسير الكبير ٢٢/١٧٣.

(٣٥) قصص الأنبياء أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) تح: مصطفى عبد الواحد،مطبعة دار التأليف – القاهرة،(ط١. ١٩٦٨م) ٢/٢٦٨

(٣٦) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القران، باب، حسن الصوت بالقراءة للقرآن، ٤ /١٩٢٥، رقم الحديث ٤٧٦١.

(٣٧)الفيل/ ١ـ٥

(٣٨) في ظلال القران،٦/ ٣٩٧٤، ينظر، التحرير والتنوير، ٣/٥٤٩

(٣٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تح : ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة – بيروت – (د.ط، ٢٠٠٠م)، ١/٩٣٥.

(٤٠) الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، دار الفكر – بيروت –(د.ط ١٩٩٣ م)
٨ / ٦٢٩ـ ٦٣٠.

(٤١) المكان نفسه.

(٤٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٣٧/٣٠.

(٤٣) التحرير والتنوير، ٥٤٩/٣٠

(٤٤) الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور، ٨/ ٦٣٠.

(٤٥) التفسير الكبير ج٣٢ ص٩٤، ينظر، التحرير والتنوير، ٥٤٩/٣٠

(٤٦)الحج/ ٣١

(٤٧) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، (د.ط)، ١٩٩٧ ٩٨٠٧/١٦.

(٤٨)النساء/ ١١٦.

(٤٩) الكشاف، ١٥٧/٣ ، ينظر، تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١ـ د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢ـ د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية / بيروت ، (ط١) – ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م ،٦ /٣٤٠.

(٥٠)التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، د. محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر) ،(د،ط ، د.ت)، ٣٠٧/٩

(٥١) أخرجه احمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١ـ ٢٠٠١م، ٤٩٩/٣٠ ، رقم الحديث ١٨٥٣٤ ، قال الشيخ شعيب اسناده صحيح.

(٥٢) الحج/٣١.

(٥٣) تفسير الشعراوي، ١٦ /٩٨٠٧.

(٥٤)إبراهيم/٤

(٥٥)آل عمران/ ٤٩

(٥٦) المائدة/١١٠

(٥٧)الأعراف/ ١١

(٥٨)التحرير والتوير ٢٥٠/٣

(٥٩) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد ت: ٥٠٢هـ ، دار المعرفة – لبنان ، تح: محمد سيد كيلاني، ص٥٤٨ ، ينظر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، تح : عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ، ٩١/٢.

(٦٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر– بيروت– ١٤٠٥ ٣/ ٢٧٥.

(٦١) الدر المنثور، ٢/ ٢١٥، وينظر، روح المعاني، ٣/ ١٦.

(٦٢) روح المعاني ٣ /١٦٨.

(٦٣) آل عمران/١٤٥

(٦٤) التفسير الكبير ٨/ ٥٠، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي ، تح: د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت ، ٢٣٩/١.

(٦٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٢/ ص ٩١.

(٦٦) المائدة/ ١١٠

(٦٧)البقرة/ ٢٦٠

(٦٨) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب – القاهرة، ٢٩٩/٣، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم، ٢٥٦/١.

(٦٩) التفسير الكبير٣٤/٧.

(٧٠) اللباب في علوم الكتاب، ٤/ ٣٦٧.

(٧١) في ظلال القران،٣٠١/١-٣٠٢.

(٧٢) أخرجه البخاري، كتاب، الانبياء ، بَاب قَوْلُهُ عز وجل) وَنَبِّئْهُمْ عن ضَيْفِ إبراهيم (قوله) ولكن ليطمئن قلبي)ج ٣ / ١٢٣٣، رقم الحديث، ٣١٩٢

(٧٣) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي ، تح: شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش المكتب الإسلامي – دمشق _ بيروت – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، الطبعة : الثانية،١ /١١٥-١١٦.

(٧٤) تفسير ابن كثير،١ /٣١٦.

(٧٥) التفسير الكبير،٣٧/٧.

(٧٦) الدر المنثور٣٣/٢.

(٧٧) القمر/ ٧

(٧٨) ينظر التفسير الكبير،٣٦/٧.

(٧٩) أخرجه الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادر عطا كما، دار الكتب العلمية – بيروت – (ط١-١٤١١هـ – ١٩٩٠م، كتاب الرقاق، ٣٥٤/٤ رقم الحديث، ٧٨٩٤ ، قال الامام الحاكم هذا حديث صحيح .

(٨٠) روح المعاني ٢٧/٣.

(٨١) التحرير والتنوير،٣٩/٣.

(٨٢) النمل/١٦.

(٨٣) النمل/١٧.

(٨٤)النمل/ ٢٠.

(٨٥)اخرجه الترمذي، سنن الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم ، ج٥ ص٥٨٢ –، رقم الحديث، ٣٦١٥، قال الترمذي، وهذا حديث حسن صحيح.

(٨٦) الكشاف ٣٥٣/٣، التحرير والتنوير ٢٣٨/١٩.

(٨٧) الأنعام/ ٣٨.

(٨٨) في ظلال القران، ٢٦٣٤/٥.

(٨٩) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت:١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده – مصر(ط١٩٤٦/١م)، ١٢٨/١٩.

(٩٠) روح المعاني ١٦٨/١٠.

(٩١) التحرير والتنوير ،٢٣٧/١٩.

(٩٢) ينظر، التحرير ١٩ج ص٢٣٧

(٩٣) المصدر نفسه ٢٤٠/١٩، ينظر، تفسير أبي السعود ٦ /٢٧٧.

(٩٤) ينظر روح المعاني، ١٩ /١٧٣

(٩٥) الكشاف،٣/٣٦٠.

(٩٦) ينظر، التحرير والتنوير، ١٩/٢٤٠.

(٩٧) محمد بن كعب القرظي أبو حمزة أو أبو عبد الله ، ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن فضالة بن عبيد وأبي هريرة وقد جلس للتحديث في المسجد فانهدم السقف وأهلكه مع أصحابه في سنة تسعين، ينظر، طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنه وي ، تح : سليمان بن صالح الخزي مكتبة العلوم والحكم – السعودية – ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، ج١ ص٩ص١٠

(٩٨) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ،علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر – بيروت(د.ط١٩٧٩م) ١٣٧/٥.

(٩٩) أخرجه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٩٩٤، كتاب النكاح، باب ما أمره الله تعالى به من اختيار الآخرة على الأولى ولا يمد عينيه إلى زهرة الحياة الدنيا فقال تعالى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ، ٧ /٤٨، رقم الحديث، ١٣٠٩٩.

(١٠٠) ينظر، التحرير والتنوير،١٩/٢٣٩

(١٠١) روح المعاني ١٩ / ١٨٢

(١٠٢) تفسير الطبري ١٩/ ١٤٤

(١٠٣) تفسير القرطبي، ١٣/١٧٧.

(١٠٤) الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل – بيروت – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، ٤/٨٠ .

(١٠٥) النحل/ ٧٩.

(١٠٦) الملك/ ١٩.

(١٠٧) تفسير الشعراوي، ١٣/ ٨١١٩.

(١٠٨) التفسير الكبير، ٢٠/٧٣.

(١٠٩) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت،(ط١ – ١٤١٨ هـ) ، ٦/٣٩٦

(١١٠) تفسير الشعراوي،١٣/ ٨١٢٠.

(١١١) تفسير أبي السعود ٥ / ١٣٢.

(١١٢) التحرير والتنوير ،١٤/٢٣٥.

(١١٣) ينظر، الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، د:سمير عبد الحليم، طلياني، سورية، (ط٢، ٢٠٠٣،) ص ١٣٢.

(١١٤) ينظر، محاسن التأويل، ٣ /٣٩٦.

(١١٥) الغاشية/١٧.

(١١٦)الذاريات/ ٢١

(١١٧) في ظلال القران، ٦/ ٣٦٤٢.

(١١٨) الموسوعة العلمية في الاعجاو القرآني، ص١٣٢.

(١١٩) ينظر، الكشاف ج٤ ص٥٨٥ ، التحرير والتنوير،٢٩/٣٨.

(١٢٠) التحرير والتنوير،٣٨/٢٩.

(١٢١) في ظلال القران،٤/ ٢١٨٦.

(١٢٢) المصدر نفسه، ٦/ ٣٦٤٣.

(١٢٣) الأنعام/ ٣٨

(١٢٤) في ظلال القران. ٢٦٣٤/٥.

(١٢٥) اخرجه الترمذي، كتاب، الاحكام والفوائد، باب ما جاء في قتل الكلاب، ٧٨/٤، رقم الحديث، ١٤٨٦، قال الترمذي، حديث حسن صحيح.

(١٢٦) اخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اذا حرق المشرك المسلم هل يحرق، ١٠٩٩/٣، رقم الحديث، ٢٨٥٦.

(١٢٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي،(ت: ٨٠٧)، دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي – القاهرة ، بيروت – ١٤٠٧، ٧ /٣٢٢.

(١٢٨) معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي

دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، (ط١- د.ت)، ٣٣٢/١.

(١٢٩) الإسراء/ ٤٤.

(١٣٠) النور/٤١.

(١٣١) التفسير الكبير،١٧٦/١٢.

(١٣٢) تفسير ابي السعود،١٣١/٣.

(١٣٣)أخرجه الحاكم ، ٢ /٣٤٥، رقم الحديث، ٣٢٣١، صحيح على شرط مسلم.

(١٣٤) التحرير والتنوير،٢١٧/٧.

(١٣٥) النمل/١٩.

(١٣٦) الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني ص١٢٥

(١٣٧) ينظر ، موسوعة الاعجاز العلمي في القران الكريم والسنة المطهرة ، يوسف الحاج احمد ، دار ابن حجر، دمشق، (ط١، ٢٠٠٧م، ص٤٦٥.

(١٣٨) في ظلال القران، ٢/ ١٠٨٤.

(١٣٩) الأنعام/٣٨.

(١٤٠) هود/ ٦

(١٤١) تفسير ابن كثير،١٣٢/٢ينظر، تفسير أبي السعود ٣/ ١٣١.

(١٤٢) الواقعة/ ٢١

(١٤٣) الطور/ ٢٢

(١٤٤) أخرجه مسلم ،صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)

تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب، صفة القيامة والجنة والنار، باب، في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم بكرة وعشيا، ٢١٨/٤، رقم الحديث، ٢٨٣٥.

(١٤٥) أخرجه احمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، تح : شعيب الارنؤوط وآخرون، مؤسسة قرطبة – القاهر ٣٦٧/٤، رقم الحديث،١٩٢٨٨١. قال شعيب الارنؤوط: حديث صحيح .

(١٤٦) التفسير الكبير ٢٨ /٢١.

(١٤٧) صفة الجنة لابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تح: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة– مصر، مكتبة العلم، جدة – السعودية، باب طعام أهل الجنة ص١١٣، رقم الحديث/ ١١٩.

(١٤٨) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، تح : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٧(ط١) ، ٢٩٢/٤.

(١٤٩) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار الكتب العلمية – بيروت، ص ١٣١.

(١٥٠) هي جمال طوال الأعناق، ينظر، لسان العرب ، ٩/٢.

(١٥١) أخرجه احمد ، مسند الإمام أحمد،٣/ ٢٢١، رقم الحديث، ١٣٣٣٥، قال شعيب الارنؤوط صحيح .

(١٥٢) الدر المنثور في تفسير القران بالمأثور، ١٠/٨.